

المحاضرة الاولى في مادة التفسير- المرحلة الثانية – قسم أصول الدين في الانبار

أ.د. احتراس شاكر فندي الكبيسى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ أَيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّكَاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ البقرة: ١٤٢ - ١٤٣

سيقول السفهاء من الناس الخفاف الأحلام فأصل السفه الخفة وهم اليهود لكرهتهم التوجه إلى الكعبة و أنهم لا يرون النسخ أو المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء أو المشركون لقولهم رغب عن قبلة آباءه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم وفائدة الاخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس إذ المفاجأة بالمكروه أشد وعداد الجواب قبل الحاجة إليه أقطع للخصم فليل الرمي يراش السهم وما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعنون بيت المقدس والقبلة الجهة التي يستقبلها الإنسان فالصلاة لأن المصلى يقابلها قل لله المشرق والمغرب أي بلاد الشرق والمغرب و الأرض كلها له يهدى من يشاء من أهلها إلى صراط مستقيم طريق مستو أي يرشد من يشاء إلى قبلة الحق وهي الكعبة التي أمرنا بالتوجه إليها أو الأماكن كلها لله فيأمر بالتوجه إلى حيث شاء فتارة الكعبة وطورا إلى البيت المقدس لا اعتراض عليه لأنه المالك وحده وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل جعلناكم فالكاف للتشبيه وذاجر بالكاف واللام للفرق بين الإشارة إلى القريب والإشارة إلى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الإعراب أمة وسطا خيارا وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية أي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الأمم أو عدولا لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب

من بعض أى كما جعلنا قبلكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم امة وسطا بين العلو والتقصير فانكم لم تغلو غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالالوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا لتكونوا شهداء غير منصرف لمكان ألف التأنيث على الناس صلة شهداء ويكون الرسول عليكم شهيدا عطف على لتكونوا روى أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء البينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بأخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال أمته فيزيكهم ويشهد بعدالتهم والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع فى الأشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب جىء بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى كنت أنت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزيكهم ويعلم بعدالتكم واستدل الشيخ أبو منصور رحمه الله بالآية على أن الإجماع حجة لأن الله تعالى وصف هذه الأمة بالعدالة والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فإذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله واخرت صلة الشهادة أو لا وقدمت آخرا لأن المراد فى الأول إثبات شهادتهم على الأمم وفى الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التى كنت عليها أى وما جعلنا القبلة الجهة كنت عليها وهى الكعبة فالتى كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هى ثانى مفعول جعل روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأليفا لليهود ثم حول إلى الكعبة إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه أى وما جعلنا القبلة التى تحب أن تستقبلها الجهة التى كنت عليها أو لا بمكة إلا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الإسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقلته يرجع فيرتد عن الإسلام عند تحويل القبلة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم أى لنعلم كائنا أو موجودا ما قد علمناه أنه يكون ويوجد فالله تعالى عالم فى الأزل بكل ما أراد وجوده أنه يوجد فى الوقت الذى شاء وجوده

فيه و لا يوصف بأنه عالم فى الأزل بأنه موجود كائن لأنه ليس بموجود فى الأزل فكيف يعلمه موجودا فإذا صار موجودا يدخل تحت علمه الأزلي فيصير معلوما له موجودا كائنا والتغير عل المعلوم لا على العلم أو لتميز النابع من الناكص كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز لأن العلم به يقع التميز أو ليعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون وإنما أسند علمهم إلى ذاته لانهم خواصه أو هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب فليلقه في النار لنعلم أيدوب و إن كانت أي التحويلة أو الجعلة أو القبلة و إن هي المخففة واللام في لكبيرة أي ثقيلة شاقة وهى خبر كان واللام فارقة إلا على الذين هدى الله أي هداهم الله فحذف العائد أي إلا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم إلى بيت المقدس سمي الصلاة ايماننا لأن وجوبها على أهل الإيمان وقبولها من أهل الإيمان وأداؤها في الجمعة دليل الإيمان ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من إخواننا فنزلت ثم علل ذلك فقال إن الله بالناس لرءوف مهموز مشبع حجازى وشامى وحفص رءوف غيرهم بوزن فعل وهما المبالغة رحيم لا يضيع أجورهم والرفأة أشد من الرحمة وجمع بينهما كما في الرحمن الرحيم.